محاضرة العدوانية

خلال هذه المحاضرة نقدم محور العدوانية سواء كانت صادرة من طفل أو راشد وعليه نقف على ماهية السلوك العدواني ، أشكال ذلك السلوك ومظاهره ، والعوامل والأسباب المؤدية له ، كما نحاول أن نقارب السلوك العدواني حسب الاتجاهات النظرية المفسرة له.

I- العدوانية بين التعريف والأشكال

1- تعريف السلوك العدواني

تعتبر العدوانية رد فعل طبيعي لدى الطفل لحماية نفسه و سعادته و فرديته ، فهو استجابة طبيعية لمواقف الإحباط ، ويعد شرطا للنمو ، إن العدوانية سلوك متعلم مكتسب من خلال الملاحظة والتقليد (عز الدين، 2010، ص 5)

يعد السلوك العدواني أكثر الاضطرابات السلوكية انتشار ، ونجده في كافة المجتمعات والبيئات الثقافية ، وهو قديم قدم البشرية وقدم أول تجمع إنساني ، إذ شاهدنا اعنف أنواع السلوك العدواني : جريمة القتل.

وهذا ما يقودنا أن السلوك العدواني قد يكون ضروري في حالات جد استثنائية ، كحالات الدفاع عن النفس ، فالقليل من العدوانية قد يكون في ظروف معينة مقبول ، و لا ننسى القاعدة السابقة التي تناولها في مدخل الاضطرابات السلوكية أن السلوك المضطرب يختلف في الدرجة وليس في النوع.

وعليه تعتبر العدوانية سلوكا مألوفا في كل المجتمعات تقريبا ، إلا أن هناك درجات من العدوانية ، بعضها مقبول ومرغوب كالدفاع عن النفس .

ويعد السلوك العدواني حسب **باندورا Bandura** كل سلوك يمكن ملاحظته ويرمي إلى إذلال الأخر وتهديده أو ضربه أو تدمير شيء يخصه ، وينفجر العدوان بسبب فقدان السيطرة على الذات (يعقوب، 2016، ص 91).

كما يعتبر السلوك العدواني كل الذي يصدر عن الفرد لفظيا أو بدنيا ، صريحا أو ضمنيا ، مباشرا أو غير مباشر ، ناشطا أو سلبيا ، وحدده صاحبه بأنه سلوك أملته عليه مواقف الغضب أو الإحباط أو الإزعاج من قبل الآخرين ، أو مشاعر عدائية ، وترتب على هذا السلوك أذى بدني أو مادي أو نفسي للآخرين أو للشخص نفسه (معمرية وأخارون، 2009، ص 253).

2-أشكال السلوك العدواني

هناك عدة تقسيمات للأشكال السلوك العدواني ، نحاول عرضها فيما يلي:

- **العدوان الجسمي أو البدني** : وهنا نجد كل أشكال الإيذاء سواء كان موجه نحو الذات أو عدوان موجه نحو البيئة الخارجية أي نحو الآخرين ، ويتجسد في كافة أشكال الضرب والعض والدفع ... وكل ما يدخل في استخدام القوة الجسدية سواء بالأيدي المعتدي أو الركل لأرجله أيضا.

– **العدوان اللفظي** : هنا إيذاء الغير يكون من خلال الكلام الذي يحمل عبارات السب ، الشتم ، الصراخ ، السخرية والتنمر وقد يصل أيضا للحدود التهديد.

– **العدوان الرمزي** : وفي هذا النوع نجد أيضا السخرية والاحتقار ولكن بطرق تعبيرية من خلال إصدار إشارات كالامتناع عن النظر لذلك الشخص أو النظر بطريقة تحمل تحقير ، كما نجد أيضا إخراج اللسان وكل ما يدخل في إطار الإيماءات الوجيهة التي يكون غرضها توجيه الإهانة.

*** وهناك من يقسم العدوان إلى مباشر وغير مباشر:**

– **العدوان المباشر** : وهو في الحالة التي يوجه فيها الشخص العدوان مباشرة إلى الشخص الذي كان مصدر إحباطه ، وذلك باستخدام القوة الجسمية والتعبيرات اللفظية (فاروق، 2011، ص 131).

العدوان الغير مباشر: انحراف العدوان عن مصدره الأصلي ، في حالة الأولى إذا كان شجار بين شخصين مدير / موظف ، يوجه الموظف العدوان للمدير نقول عليه عدوان مباشر ، ولكن إن لم يتمكن توجيه العدوان لمدير ، و وجهه تجاه زوجته أو الأطفال نقول هنا عن العدوان في هذه الحالة أنه عدوان غير مباشر.

*** وهناك من يقسم العدوان إلى معتمد وغير معتمد:**

– **العدوان المتعمد** نجده مقصود كما أن هدفه و الحاق الأذى ، في حين يتخذ **العدوان الغير متعمد** شكل الوسيلة أي أن الشخص هنا ليست غايته العدوان في حد ذاته ، فهو لم يريد إلحاق الأذى بالغير ولكن أثناء تحقيق الشخص لمصلحة ما، وقع أذى لغيره.

ومن أشكال العدوان أيضا ما هو فردي و ما هو جماعي ، وما هو ايجابي كدفاع عن النفس وما هو سلبي كالذي يتجسد في كل مظاهر اللامبالاة والإهمال (كإهمال الأب لأطفاله في عدم إشباع حاجاتهم الضرورية) وعموما تتداخل أشكال العدوان فيما بينها .

III– العدوانية عند الطفل

العدوانية عند الطفل تلاحظ من خلال أشكال مختلفة ، قد نجدها تتمثل في عدم الامتثال للأوامر ونواهي الوالدين ، ضرب وعض الأخوة ، التذمر ، تخريب متواصل و مقصود للأثاث المنزل ...

وهذا في مراحل عمرية مبكرة ، و هو ما يدفعنا في هذه الحالة لطرح إشكاليتين الأولى فيما إذا كان هذا السلوك فطري والإشكالية الثانية هل كل مظاهر السلوك لعدواني عند الطفل مرضية ، خصوصا أننا سبق وان اشرنا أنه توجد بعض الاضطرابات السلوكية التي تزول مع النضج .

هكذا هو الطفل إذ لم يجد إشباع للحاجات التي تضمن بقائه فقد يشعر بكثير من الغضب هذا الأخير يدفعه للبكاء والصراخ والتذمر على المحيط ، وبكاء الطفل في هذه الحالة يجعل المربي يستجيب بطريقة مناسبة فتشبع رغبة الطفل

ويستفاد من الموقف لتعليمه الأسلوب الصحيح والمناسب لتحقيق إشباع الحاجة ، وبتالي لا تكون هناك مشكلة (عز الدين،2010، ص 21).

وهذا ما يفسر بكاء الرضيع أثناء جوعه أو إذا أراد أن ينام مثلا فهو في هذه الحالة لا يملك اللغة لتعبير عن حاجاته ، لكن مع الوقت ومع النضج والنمو اللغوي يكتسب مهارات لغوية تمكنه من التعبير عن حاجاته.

والنقطة الثانية كيف يستمر السلوك العدواني ليصبح سلوكا مضطربا ، نجيب هنا أن البيئة هي من تدعم سلوك العدوان وتعمل على بقائه ، من خلال إهمال رغبات الطفل ويصر المربي على حرمانه ، فيزداد غضب الطفل ويصل إلى درجة تجعله يكسر أو يخرب ما حوله ، وفي الأحيان الأخرى قد يلجأ الطفل إلى تعذيب نفسه فيلقي بنفسه على الأرض مثلا ، ما ينجم عن ذلك إيذاء لنفسه ، وقد يتكرر مثل ذلك الموقف في حياة الطفل فتصدر عنه مثل تلك الأفعال فيطلق عليه أنه طفل عدواني (عز الدين، نفس المرجع السابق، ص 21).

IV – العدوانية عند الراشد

و بالرجوع الى العدوانية عند الراشد فنجدها متأصلة في اضطراب الشخصية لديه ، والمقصود اولا باضطراب الشخصية ذلك الخلل الواضح في اداء الفرد و في تصرفاته و في طريقة تفكيره و تحليله للمواضيع.

فهي نوع من الاضطرابات تصبح فيه سمات الشخصية غير مرنة و لا متوافقة ، و تسبب لصاحبها خلل ملحوظ في اداء وظائفه او الشعور بالمعاناة ، و تظهر على هؤلاء المرضى انماط متأصلة و ثابتة و غير موافقة في التعامل مع البيئة و ادراكها و في التعامل مع أنفسهم و في تصورهم لذاتهم. (غانم ، 2018 ،ص 212)

ونجد السلوك العدواني عند الراشد مصنف في اضطراب الشخصية – B– وهي الشخصية مفرطة و سريعة الانفعال و التقلب و اكثر المجموعات التي نجد فيها السلوك العنيف ، و تتمظهر العدوانية هنا في: عدوانية تجاه الذات مثلما نجدها في الشخصية الحدية مثل سلوك ايذاء الذات – تشويه الذات– الجروح على الجسم والتي قد تصل الى اخطر درجات ايذاء الذات و هو الانتحار ، وفي هذا الصدد وجدت دراسات ان الاشخاص الذين يعانون من اضطرابات الشخصية الحدية يسود بينهم التفكير في الانتحار فعلا ، فمن بين 70 % الى 80 % من المرضى الحديين لديهم تاريخ سابق لمحاولة انتحار واحدة (غانم ، 2018 ، ص 211) ، كما نجد العدوانية تجاه الاخرين عند الشخصية المعادية للمجتمع من خلال الشجار المتكرر الاستيلاء على الغير – نصب و احتيال – وهو ما اكده DSM5 في رصده للأعراض هذه الشخصية : التململ والعدوانية كما يستدل عليها بالمشاجرات المتكررة والتعديات. الاستهتار المتهور بسلامة الذات والآخرين . (انور حمادي ، 2013 ،ص 246)

V– أسباب وعوامل السلوك العدواني

1– الأسباب والعوامل النفسية للعدوان:

– الرغبة في التخلص من السلطة – الشعور بالفشل والحرمان – الغيرة: – الشعور بالنقص

2- الأسباب والعوامل الأسرية:

وفي هذا السياق نشير إلى الطريقة التي يستخدمها الآباء في الثواب أو العقاب والاستحسان أو الاستهجان هي أحد المحتمات أي أحد الأسباب السيكولوجية الهامة في اضطراب السلوك ، ونذكر الأساليب على النحو الأتي:

- الإهمال - الحماية الزائدة - التسلط والنظام المبالغ فيه - التذبذب في المعاملة - التميز والتفرقة بين الأبناء

3- الأسباب والعوامل المدرسية

- قلة العدل في معاملة الطالب في المدرسة.
- عدم الدقة في توزيع الطلاب على الصفوف حسب الفروق الفردية حسب سلوكياتهم.
- فشل الطالب في حياته المدرسية و خاصة تكرار الرسوب.
- عدم وجود برنامج لقضاء الفراغ وامتصاص السلوك العدواني.
- شعور الطالب بكراهية المعلمين له. (عز الدين ،2010 ، ص 28).

4- وسائل الإعلام:

لوسائل الإعلام مجموعة من السلبيات التي لها أثار شديدة وتزداد هذه في حالة الطفل و المراهق، وتتمثل تلك السلبيات في : نقل أخلاق ونمط حياة البيئات الأخرى إلى مجتمعنا ، ونقل قيم غربية تشجيع ممارسة العنف على انه قوى ، وتكرار المشاهدة تؤدي إلى تبلد الإحساس بالخطر وإلى قبول العنف كوسيلة إستجابية لمواجهة بعض مواقف الصراعات، الخمول الكسل ، ومن سلبيات أيضا إثارة الفزع والشعور بالخوف (بدير ، 2007، ص 77 - 78). إذن

VI- النظريات المفسرة للسلوك العدواني

1- النظرية البيولوجية

ان انصار هذا الاتجاه يعتبرون ان العامل البيولوجي يعد أساسيا و عنصرا حاسما في تشكيل الشخصية وتحديد السلوك بحيث يصبح التكوين الجسماني و العامل الوراثي اساسا لهذا التفسير . (اسماعيلي و اسماعيلي ، 2014 ، ص 182).

و يعتبر ممثلو الاتجاه الفسيولوجي ان السلوك العدواني يظهر بدرجة اكبر عند الافراد الذين لديهم تلف في الجهاز العصبي –التلف الدماغي – و يرى فريق اخر بأن هذا السلوك ناتج عن هرمون التستستيرون حيث وجدت دراسات بأنه كلما زادت نسبة الهرمون في الدم ، زادت نسبة حدوث السلوك العدواني(يحي ، 2000، ص189) .

2- نظرية التحليل النفسي

وفقا للمنطلق **فرويد** فإن السلوك العدواني سلوك فطري غير متعلم ، يهدف إلى خفض التوتر ، فهو يظهر في حالة التي لم تلاقي فيها الحاجات البيولوجية الإشباع المطلوب (إحباط) كما يظهر في صورة من صور تأكيد الذات.

وغير بعيد عن النظرية التحليلية وعند أحد روادها يرى **أدلر Adler** أن العدوان وسيلة لتغلب على مشاعر القصور والنقص والخوف من الفشل ، ولم يتغلب على هذه المشاعر عندئذ يصبح العدوان وسلوك العنف استجابة تعويضية عن هذه المشاعر (ملحم ،2007 ، ص 155)

3- النظرية السلوكية

يرى السلوكيون أن معظم السلوكيات مكتسبة وهي نتاج تفاعل الفرد مع البيئة ، ويقدم السلوكيون العدوان على أساس أنه سلوك متعلم من البيئة ومن ثم فإن الخبرات المختلفة التي اكتسب منها شخص ما سلوكه العدواني قد تم تدعيمها بما يعزز لديه ظهور الاستجابة العدوانية كلما تعرض لموقف محبط (بطرس،2010 ، ص 243)

وحسب نموذج الاشتراط الإجرائي وفق الاتجاه السلوكي فالأنماط السلوكية محكومة بتوابعها ، فالسلوك تزداد احتمالات حدوثه في المستقبل عندما تكون نتائجه إيجابية وتقل احتمالات تكراره عندما تكون نتائجه سلبية ، فعندما يقوم الطفل بالعدوان ويعاقب على ذلك فإنه يتجنب القيام بمثل هذا السلوك في المستقبل ، أما إذا حصل على مكافأة أو تعزيز لقاء قيامه بمثل هذا السلوك فإنه يميل إلى تكراره في المواقف المشابهة (ملحم ، 2007، ص 155)

4- نظرية التعلم الاجتماعي

وهي نظرية تنطلق من دور كل من التقليد والمحاكاة في اكتساب السلوك العدواني ، كون أن تعرض الطفل لنماذج عدوانية يؤدي إلى السلوك العدواني عنده ، حتى لو أن ذلك الطفل لم يتعرض للإحباط فزيادة العدوان ينتج عن زيادة لنماذج العدوانية ، فالتقليد يلعب دورا هاما في نشوء و اكتساب السلوك العدواني (القمش، 2007 ، ص 208)

ويلخص باندورا نموذج تعلم الطفل السلوك العدواني عن طريق الملاحظة فيما يلي :

- التأثير الأسري ، الأقران النماذج الرمزية كالتلفزيون.

- التعلم المباشر للمسالك العدوانية كالإثارة المباشرة للأفعال العدوانية الصريحة في أي وقت.

- إثارة الطفل إما بالهجوم الجسمي بالتهديدات أو الإهانات أو إعاقة سلوك موجه نحو هدف أو تقليل التعزيز أو إنهائه قد يؤدي إلى العدوان.

- العقاب قد يؤدي إلى زيادة العدوان (بطرس،2010، ص 245).

فملاحظة سلوك الآخرين وحدها كفيلة لتصبح نموذج للطفل يمكن تقليده ومحاكاته لاحقا وهذا كون عملية التعلم الاجتماعي تمر بمراحل تجعلها راسخة فإذا كانت المدرسة السلوكية ترى من السلوك مثير استجابة فقد أدخل **باندورا** مفهوم وسيط بين المثير والاستجابة ، ألا وهو المعرفة ليصبح السلوك نتاج تفاعل بين ما هو معرفي سلوكي في بيئة محددة ، هذه الأخيرة هي من تفرض نموذج معين يقوم الطفل باقتضائه ، طبعا إذا ما خدم هذا النموذج ما يحتاجه الطفل.